Kalimah: Jurnal Studi Agama-Agama dan Pemikiran Islam
DOI: http://dx.doi.org/10.21111/klm.v19i2.6629

تزكية النفس وعلاقتها بالسعادة عند ابن قيّم الجوزية

Nur Hadi Ihsan
Universitas Darussalam (UNIDA) Gontor
nurhadiihsan@unida.gontor.ac.id

Munir
Universitas Islam Negeri Sunan Gunung Djati Bandung
muniramuin@gmail.com

Dedy Irawan
Universitas Darussalam (UNIDA) Gontor
dedi.irawan@unida.gontor.ac.id

Abstract

This paper tries to explore the concept of purification of the soul (tazkiyat al-nafs) and its relationship to happiness according to Ibn Qayyim al-Jauziyyah. Ibn Qayyim explained that the soul (nafs) is the essence of man with the ability to incline to good or evil. The soul was created with flaws and imperfect, but it will become perfect with the purification (tazkiyatun nafs). This research is a library study and the data collected using documentary techniques. The collected data were analyzed utilizing analytical-descriptive method. This study concludes the following. First, the purification of the soul according to Ibn Qayyim is not only to purify the human soul, but also to purify his faith. Second, Ibn Qayyim's method of purifying the soul is by takhalli (emptying the soul) from all impurities of sin and tahalli (filling the soul) with obedience to Allah in the form of the main practices to achieve soul perfection. Third, happiness according to Ibn Qayyim is the happiness of the spiritual heart (nafs) as well as the happiness of useful knowledge. The highest and greatest happiness is the happiness of the heart in achieving ma'rifatullah. Fourth, the relationship of purification of the soul with happiness according to Ibn Qayyim is like a mirror in which there is a law of causality (cause and effect). The more the mirror of the heart is cleansed of the rust of sin, the image of His Throne will be clearer and more visible, so that it leads to ma'rifatullah.

Keywords: *Tazkiyat al-nafs, Happiness, Ma'rifatullah, Ibn Qayyim al-Jauziyah.*

Abstrak

Tulisan ini mencoba mengungkap konsep penyucian jiwa (tazkiyat al-nafs) dan hubungannya dengan kebahagiaan menurut Ibnu Qayyim al-Jauziyyah. Ibnu Qayyim menjelaskan bahwa Jiwa (nafs) adalah esensi manusia, ia memiliki kemampuan untuk condong

kepada kebaikan atau kejahatan. Oleh karena itu, jelas sekali bahwa jiwa itu diciptakan dengan kekurangan dan tidak sempurna, ia akan menjadi sempurna dengan penyucian jiwa. Penellitian ini adalah studi kepustakaan dan untuk mengumpulkan data digunakan teknik dokumenter. Data yang terkumpul dianalisis dengan metode deskriptif-analitik. Kajian ini menyimpulkan empat temuan berikut. **Pertama**, *penyucian jiwa menurut Ibnu Qayyim bukan hanya untuk menyucikan jiwa manusia, tetapi juga menyucikan akidahnya, karena syirik merupakan najis dan kotoran.* **Kedua**, *metode Ibnu Qayyim dalam penyucian jiwa adalah dengan takhalli (pengosongan jiwa) dari segala kotoran dosa dan tahalli (pengisian jiwa) dengan ketaatan kepada Allah berupa amalan-amalan utama untuk mencapai kesempurnaan jiwa.* **Ketiga,** *kebahagiaan menurut Ibnu Qayyim adalah kebahagiaan hati spiritual (nafs) seperti halnya kebahagiaan ilmu yang bermanfaat. Kebahagiaan tertinggi dan terbesarnya adalah kebahagiaan hati dalam mencapai ma'rifatullah.* **Keempat**, *hubungan penyucian jiwa dengan kebahagiaan menurut Ibnu Qayyim ibarat cermin yang di dalamnya terdapat hukum kausalitas (sebab akibat), semakin cermin hati dibersihkan dari kotoran karat dosa maka gambar Arsy-Nya akan semakin jelas dan tampak, sehingga mengantarkan kepada ma'rifatullah.*

Kata Kunci: *Tazkiyat al-nafs, Kebahagiaan, Ma'rifatullah, Ibnu Qayyim al-Jauziyah.*

مقدمة

الإنسان في الإسلام ليس كائنا أحادي الكينونة بل هو كائن ذو أبعاد. فهو مكون من الروح (النفس) والجسد, ولكل واحد منهما طبيعته وخصائصه واحتياجاته. فالنفس (الروح) عند الإمام الغزالي هو جوهر الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني.[١] وهو مدبر البدن،[٢] ومحركه.[٣] لأنه، يأتي من شرارة النور الإلهي.[٤] لذلك، سمّاها الغزالي بمصطلح "لطيفة ربانية".[٥]

لكن المسألة في النفس عند الغزالي هي تخلق ناقصة[٦]، حيث يرى ابن عربي

---

[١] أبو حامد الغزالي, **إحياء علوم الدين**, ج. ٣، (بيروت: دار المعرفة, دون سنة)، ٣

[٢] محي الدين ابن عربي، **نقش الفصوص**، (حقوق الطبع محفوظة، دون سنة)، ٨ – ١، انظر كذلك: محي الدين ابن عربي، **شجرة الكون**،(حقوق الطبع محفوظة، هـ١٤٥٠)، ٢١

[٣] ابن قيم الجوزية, **الروح**, (بيروت: دار الكتب العلمية. دون سنة)، ١٧٨

[4] Hamka, *Pandangan Hidup Muslim*, (Jakarta: Gema Insani, 2016), 45

[5] M. Abul Quasem, *Etika Al-Ghazali,* terj. J. Mahyudin, (Bandung: Pustaka, 1988), 37 :أبو حامد الغزالي, **إحياء علوم الدين**...., ٣. انظر كذلك

[٦] أبو حامد الغزالي, **ميزان العمل**, تحقيق الدكتور سليمان دنيا, (مصر: دار المعارف, م١٩٦٤), ٢٥٩

أن كل فعل فيه حظ للدنيا سواء كان ذلك الفعل محمودا أو مذموما فهو من أمر النفس وبهذا فلها (صفة القبول والإفتقار).[٧] وذلك لأن النفس ذات كمال ونقص[٨]، بل هي محل الأخلاق المذمومة عند القشيري.[٩] ولهذا، فالوصول إلى كمال النفس عند الغزالي هي بالتزكية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم[١٠]، لأن تزكية النفس تدعو إلى التخلّي عن الأخلاق المذمومة والسلوكيات السيئة، ثم إحلال الأخلاق المحمودة محلها لتصبح النفس طاهرة نقية.[١١] والأخلاق المحمودة عند الإمام الغزالي كالنور والضوء، وهو الذي يجلو مرآة القلب ويصفيه. فإذا وصل إلى القلب طهره من ظلم الأخلاق المذمومة[١٢]، ولذلك، فالإنسان إذا أمسك بزمام نفسه ووجهها إلى طريق الخير فقدحصل على السعادة والفلاح، وإذا أتبع نفسه هواها فقد خاب وخسر.[١٣]

ولهذا، رأى الإمام ابن قيّم بأن السعادة النفسية حيث أعلاها وأعظمها هي "سعادة القلب في معرفة الله"[١٤] كمثابة مصدر السعادة[١٥]، تجدها بتزكية النفس.

---

[٧]محي الدين ابن عربي، **الفتوحات المكية**، ج.٢، (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، م ٢٠٠٦)، ١٩. انظر كذلك: الدكتور كرم أمين أبو كرم، **حقيقة العبادة عند محي الدين ابن عربي**، (القاهرة: مطابع سجل العربي، هـ١٤١٧)، ٧٢

[٨]محي الدين ابن عربي، **التدبيرات الإلهية**، (ليدن، هـ١٠٠٠,٦٠٠٠)، ١١٠. انظر كذلك: الدكتور كرم أمين أبو كرم، **حقيقة العبادة عند محي الدين ابن عربي**، ...، ٧٢

[٩]الإمام القشيري، **الرسالة القشيرية**، (القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب، هـ١٤٠٩)، ١٧٥-١٧٤

[١٠]أبو حامد الغزالي, **ميزان العمل**...، ٢٥٩

[١١]رقية طه جابر العلواني, **منهج ابن قيم الجوزية في تزكية النفس**, (حقوق الطبع محفوظة, ودون سنة)، ١٠٧

[١٢]أبو حامد محمد بن محمد الغزالي, **كيمياء السعادة**، (حقوق الطبع محفوظة, دون سنة)، ١٣٣

[١٣]أنس أحمد كرزون, **منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله**, (المكة، المملكة العربية السعودية : هـ١٤١٥- م١٩٩٥)، أ

[١٤]قال الإمام ابن قيم: "فالغاية الحميدة الَّتِي يحصل بها كمال بني آدم وسعادتهم ونجاحهم هي معرفة الله.... بل لا سعادة للعبد في دنياه ولا أخراه إلا بذلك ولا كمال للروح بدون ذلك" انظر: ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ج.٢، (بيروت: دار الكتب العلمية, دون سنة)، ١٢٠-١١٩. وأكد الإمام الغزالي: "وأن لذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب، ولذة القلب خاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى, لأنه مخلوق لها، ولذلك فإن الإنسان إذا عرف الوزير فرح، ولو عرف الملك لكان أعظم فرحاً. فلا معرفة أعز من معرفته، ولا لذة أعظم من لذة معرفته. "انظر كذلك: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي, **كيمياء السعادة**، ١٤٠-١٣٩

[15]Hamka, *Tasawuf; Perkembangan dan Pemurnian*, (Jakarta: Republika, 2016), hal. 177.

السبب، لأن معرفة الله عنده لا يمكن قبولها على النفس القذرة والمذمومة بمثل النفس الأمارة بالسوء كمحلّ الأخلاق المذمومة والنجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والإنابة إليه والإنس به والسرور بقربه فيه، وإنّما يسكن فيه أضداد ذلك.[١٦] فالوسيلة للوصول إلى معرفة الله كمثابة مصدر السعادة عند الإمام ابن قيّم لابد بتزكية النفس من الذنوب في القلب بسبب اتباع الشهوات والشبهات لأنها الغطاء والحجاب عن معرفة الله.

ولهذا فالسؤال، هل هناك العلاقة بين تزكية النفس والمعرفة كعين السعادة؟ وإن كان هناك العلاقة، كيف كانت العلاقة بينهما؟ من هذه الفكرة، رأى الباحث على أنّ الإمام ابن قيّم له فكرة متميزة عند تطبيق تزكية النفس. أساسا على التعبير السابق، أراد الباحث أن يكشف آراء الإمام ابن قيم ونظريته في تزكية النفس وعلاقتها مع السعادة النفسية التي أعلاها وأعظمها هي لذّة القلب في معرفة الله.

تزكية النفس عند ابن قيّم الجوزية

تأتي تزكية النفس عند الإمام ابن قيم في معنيين: الاول بمعنى المديح والثناء عليها وهذا النوع منهي عنه بدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَ لا يظلَمون فَتِيلا﴾ (النساء ٩٤). وقد أشار الإمام ابن القيم رحمه الله إلى هذا النوع وإن كان إنما قصد العلمية.[١٧]

والمعنى الثاني: تزكية النفس تأتي بمعنى تطهيرها أي تطهير النفس وتنقيتها من الرذائل. وهي تجمع بين إزالة الشر وتطييبها بالخير، كما تجمع بين مفهوم التطهير والتزكية أي النماء لأنهما متلازمان. والتزكية وإن كان أصلها في اللغة هي النماء والزيادة فى الصلاح وكمال الشيء فهي لا تحصل إلا بإزالة الشر الموجود في النفس (القلب) كي ترتاح وتطمئن. فلهذا صار التزكى ينتظم الأمرين جمعياً. فأصل ما تزكو

---

[١٦] ابن قيم الجوزية, **الداء والدواء**, ج.١، تحقيق مُحَمَّد أجمل الإصْلَاحي، (جدة: مجمع الفقه الإسلامي, هـ١٤٢٩)، ٤٢٢

[١٧] ابن قيم الجوزية, **تحفة المودود بأحكام المولود**, تحقيق عبد القادر الأرناؤوط, (دمشق: مكتبة دار البيان, هـ١٣٩١/م١٩٧١), ١١٧

به القلوب والأرواح هو التوحيد. والتزكية جعل الشيء زكيا، إما فى ذاته، وإما فى الاعتقاد والخبر عنه.[١٨] أما المقصود من التزكية في موضوعنا هذا هو المعنى الثاني من المعنيين الذين ذكرناهما. وهي جعل الشيء زكيا، إما فى ذاته وإما فى الاعتقاد والخبر عنه.

وقد جاء تعبير ابن القيم رحمه الله عن تزكية النفس بمصطلحات متعددة منها، التزكية[١٩]، وجهاد النفس[٢٠]، وأحيانا زكاة القلب الذي خصص الباب الثامن في كتابه إغاثة اللهفان للكلام فيه.[٢١]

وأما طريقة تزكية النفس عند ابن قيّم الجوزية فكما يلي:

الأول، يعنى بالتخلي من نجاسة الذنوب والمعاصي في القلب ثم التخلص منها عن طريق التوبة والاستغفار. كقوله في باب زكاة القلب:

"نجاسة الفواحش والمعاصي في القلب بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن وبمنزلة الزغل في الزرع وبمنزلة الخبث في الذهب والفضة والنحاس والحديد، فكما أن البدن إذا استفرغ من الأخلاط الرديئة، تخلصت القوة الطبيعية منها فاستراحت فعملت عملها بلا معوق ولا ممانع، فنما البدن فكذلك القلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه فتخلصت قوة القلب وإرادته للخير فاستراح من تلك الجوانب الفاسدة والمواد الرديئة، زكا ونما وقوى واشتد فلا سبيل له إلى زكاته إلا بعد طهارته."[٢٢]

ولهذا، يقول الإمام ابن تيْمِية "اجتهد ان لَا يعْصى فَإِذا اذنب وَعصى بَادر الى التَّوْبَة وَالِاسْتِغْفَار."[٢٣] فتَرك الفواحش عنده يزكو بها القلب، وكذلك ترك

---

[١٨]ابن قيم الجوزية, **إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان**, ج.١، تحقيق محمد عفيفي، (بيروت: المكتب الإسلامي, هـ١٤٠٨/م١٩٨٨)، ٤٩

[١٩]ابن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**...، ٥٥. وانظر كذلك: **مدارج السالكين**، ج.٢، تحقيق محمد الفقي, (بيروت: دار الكتاب العربي, م١٩٧٣)، ٣١٧

[٢٠]ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج.٣، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط, (بيروت: مؤسسة الرسالة, هـ١٤١٥/م١٩٩٤)، ١٠. انظر كذلك: رقية طه جابر العلواني, **منهج ابن قيم الجوزية في تزكية النفس**, (حقوق الطبع محفوظة, و دون سنة)، ١٧٠

[٢١]ابن قيم الجوزية. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**..., ٤٦

[٢٢]ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**...، ١٢٢-١٢١

[٢٣]ابن تيمية, **الاستقامة**، ج.٢، تحقيق محمد رشاد سالم، (المدينة المنورة: حقوق الطبع محفوظة,

المعاصي فإنها بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن ومثل الدغل في الزّرع فإذا استفرغ البدن من الأخلاط الرَديئة كاستخراج الدّم الزّائد تخلّصت القوّة الطّبيعيّة واستراحتْ فينمو البدن وكذلك القلب.[٢٤] ولهذا، فالإمام ابن القيم بهذا الجانب يتبع آراء شيخه الإمام ابن تيمية.

ويتبع ذلك إصلاح الآثار المترتبة على الذنوب والتركامات الناجمة عن ارتكاب الخطايا ومزاولة الصفات المذمومة. فهي عملية تطهير للعبد ومداواته وإخراج المواد الرديئة عنه أولا ثم إصلاح النفس. وزجرها وتوقيفها على فقرها و ضروراتها الى ربها.[٢٥]

أما الأمر **الثاني** في تحقيق تزكية النفس لديه، فينصرف إلى تحلية الصفات الإيجابية في النفس وترقيتها على نحوٍ يتسم بالاستمرارية. فالتزكية هنا تعمل على تنمية الشخصية الإنسانية بثروة من القيم الحافزة الدافعة للإنسان إلى الخير.[٢٦] ولهذا، فتعريف التزكية عنده في اللغة هي النماء والزيادة فى الصلاح وكمال الشىء.[٢٧] و معنى ذلك أن الغاية من التزكية عنده هي تحلية وتنمية الصفات الإيجابية في النفس للوصول إلى كمال النفس المطلوب وسعادتها.

ولهذا، فالتزكية في منهج الإمام ابن القيّم هي: "العمل الإنساني والسعي الكسبي للترقي بالنفس والوصول بها إلى فعل الطاعة واجتناب المعصية وهو والتخلي عن الرذائل ثم التحلي بالفضائل. وهو ما أطلق عليه في بعض مؤلفاته كمال النفس ومعرفتها ما تسعد به ونقصها وما تشقى به."[٢٨]

هـ١٤٠٣)، ١٣٩

[٢٤]ابن تيمية, **مجموع الفتاوى**, ج.١٠، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, هـ١٤١٦)، ٩٦

[٢٥]ابن قيم الجوزية, **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**...، ٤٧-٤٦. وانظر كذلك: رقية طه جابر العلواني, **منهج ابن قيم الجوزية في تزكية النفس**...، ١٧٢

[٢٦]ابن القيم, **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**, ج.١، (دار الكتب العلمية: بيروت, بدون تاريخ)، ٢٦٧

[٢٧]ابن قيم الجوزية, **إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان**...، ٤٩

[٢٨]رقية طه جابر العلواني, **منهج ابن قيم الجوزية في تزكية النفس**...، ١٧٢

وفي نهاية المطاف، استنبط الباحث بأن طريقة تزكية النفس في فكره رحمه الله هي العمل بالتخلّي عن الذنوب والمعاصي في القلب، ثمّ التحلّي بالأخلاق الفاضلة محلها لتصبح النفس طاهرة نقية، ويكون صلاحها في الفرد عنوان صلاح المجتمع. ولهذا رأى الباحث أن منهج الإمام ابن القيّم في تزكية النفس سواء بماكان للإمام الغزالي الذي يرى بأن هذه التزكية هي إنما قطع عقبات النفس والتنزيه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكره سبحانه.[٢٩] و معنى ذلك أن تزكية النفس عند الإمام ابن القيم تبنى على التخلية والتحلية.

السعادة عند ابن قيّم الجوزية

رأى الإمام ابن قيم الجوزية أن السعادة تتكون من ثلاثة أنواع وهي: "(السعادة الخارجية) عن ذات الإنسان كسعادة بسبب المال والحياة ثم (السعادة البدنية /الجسمانية) كالصحة واعتدال المزاج و تناسب أعضائه أوحسن تركيبه و صفاء لونه و قوة أعضائه ثم (سعادة نفسانية (روحية) قلبية) كسعادة العلم النافع ثمرته[٣٠] و معرفة الله.[٣١]

ولهذا، رأى الإمام ابن قيم الجوزية أن سعادة الإنسان كلها في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده. والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع وكماله كله في مجموع هذين الأمرين أن يكون حريصا وأن يكون حرصه على ما ينتفع به[٣٢]، كسعادة العلم النافع ثمرته.[٣٣] حيث أعظمها وأجلها وأشرفها هو معرفة الله.[٣٤] ولهذا،

---

[٢٩]محمد الغزالي الطوسي, **المنقذ من الضلال**, تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، (مصر: دار الكتب الحديثة, دون سنة)، ١٧٠

[٣٠]ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة...**، ١٠٨-١٠٧

[٣١]**نفس المرجع**، ١٢٠-١١٩

[٣٢]ابن قيم الجوزية, **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**, (بيروت: دار المعرفة, هـ١٣٩٨)، ١٩

[٣٣]ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة...**، ١٠٨

[٣٤]ابن قيم الجوزية, **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**, ج.٣، (الرياض: دار العاصمة، هـ١٤٠٨)، ١١٠٦. وانظر كذلك: ابن قيم الجوزية, **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**,

رأى الإمام ابن القيّم بأن حقيقة السعادة هي السعادة النفسانية (الروحية) القلبية حيث أعلاها وأعظمها هي "سعادة القلب في معرفة الله" كقوله:

> "فالغاية الحميدة الَّتِي يحصل بها كمال بني آدم وسعادتهم ونجاحهم هي معرفة الله.... بل لا سعادة للعبد في دنياه ولا أخراه إلا بذلك ولا كمال للروح بدون ذلك." [٣٥]

ولقد اتفق كثيرون من الصوفية بهذا القول، كالإمام الغزالي[٣٦]، والإمام ابن تيمية[٣٧]، والإمام القشيري[٣٨]، والإمام الطوسي[٣٩]، والشيخ عبد القادر الجيلاني[٤٠]، و حمكا[٤١]، وغيرهم.

ولهذا، أكد رحمه الله أن الوصول إلى كمال النفس أن يكون له صفة كمال في نفسه، وذلك ليس إلا بمعرفة الله.[٤٢] وفي هذا المعنى أكّد رحمه الله:

ج.١، الطبعة الثانية، تحقيق محمد الفقي, (بيروت: دار الكتاب العربي, م١٩٧٣)، ٢٦٨

[٣٥]انظر : ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**...، ١٢٠- ١١٩

[٣٦]قال الإمام الغزالي : "إن اللذة والسعادة لابن آدم معرفة الله... ولذة القلب خاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى, لأنه مخلوق لها... ولذلك فإن الإنسان إذا عرف الوزير فرح، ولو عرف الملك لكان أعظم فرحاً. فلا معرفة أعز من معرفته، ولا لذة أعظم من لذة معرفته. "انظر كذلك: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي, **كيمياء السعادة**...، ١٤٠-١٣٩

[٣٧]قال الشيخ العارف ابن تيمية : "كمال النفس بمعرفة الله مع العمل الصالح لا بمجرد معرفة الله فضلا عن كونه يحصل بمجرد علم الفلسفة." انظر : ابن تيمية, **الرد على المنطقيين**, (بيروت: دار المعرفة, دون سنة)، ١٣٨

[٣٨]قال الإمام القشيري: "معرفة الله توجب السكينة في القلب كما أن العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته" انظر: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**...، ٥١٢

[٣٩]قال الإمام الطوسي "إن القلوب هشت وبشت وسكنت واستأنست ثم كشف عنه، هشت من معرفة جلال الله تعالى، وعظمته وبشت من معرفة رحمة الله وفضله، وسكنت من معرفة كفاية الله وصدقه، واستأنست من معرفة إحسان الله ولطفه" انظر: أبي نصر السراج الطوسي، **اللمع**، تحقيق دكتور عبد الحليم محمود، (مصر: دار الكتب الحديث، هـ١٣٨٠)، ٩٩

[٤٠]قال عبد القادر الجيلاني: "فإذا وصل العبد إلى إشراقات المعارف جمع بين اطمئنان النفس وسلامة القلب وصفاء السر وتنعم آنذاك بأنوار القرب"، انظر: يوسف محمد طه زيدان، **الطريق الصوفي**، (بيروت: دار الجيل، هـ١٤١١)، ١٤١

[٤١]قال بويا حمكا: "أن المعرفة هي الطريق للوصول إلى السعادة النفسية". انظر: Hamka, *Tasawuf; Perkembangan dan Pemurnian*, (Jakarta: Republika, ٢٠١٦), ١٨٠

[٤٢]وهو يقول: «كمال النفس المطلوب ما تضمن أمرين : أحدهما أن يصير هيئة راسخة وصفة لازمة

"أن الله سبحانه جعل لكل عضو من أعضاء الإنسان كمالا إن لم يحصل له فهو في قلق واضطراب وانزعاج بسبب فقد كماله الذي جعل له مثالا كمال العين بالأبصار وكمال الأذن بالسّمع وكمال اللّسان بالنطق فإذا عدمت هذه الأعضاء القوى الّتي بها كمالها حصل الألم والنّقص بحسب فوات ذلك وجعل كمال القلب ونعيمه وسروره ولذته وابتهاجه في معرفته سبحانه وإرادته ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه والشوق إليه والأنس به. فإذا عدم القلب ذلك كان أشد عذابا واضطرابا من العين الّتي فقدت النّور والباصر من اللّسان الّذي فقد قوة الكلام والذوق ولا سبيل له إلى الطمأنينة بوجه من الوجوه ولو نال من الدّنيا وأسبابها ومن العلوم ما نال إلا بان يكون الله وحده هو محبوبه وإلهه ومعبوده وغاية مطلوبه وإن يكون هو وحده مستعانه على تحصيل ذلك."[٤٣]

وهكذا يتضح لنا بأن كمال النفس المطلوب وسعادتها عند الإمام ابن قيم يتعلق بمعرفة الله. وبل تحقيق الطمأنينة في النفس لا يتمّ إلا بمعرفة الله، و إن عدم القلب ذلك الكمال، كان أشد عذابا واضطرابا وقلقا من العين الّتي فقدت النّور. فالسعادة العليا (سعادة روحية قدسية إلهية) و هي ألذ من كل شيء.[٤٤] ولهذا، كانت السعادة في قضاء الشهوات والسعادة الظاهرية مثل الأموال والجاه والقناطير والكرامة، سمي هذه كلها بسعادة مجاز أو غلط.[٤٥] لأن سعادة القلب خاصة بمعرفة الله ولأنه مخلوق لها.

علاقة تزكية النفس بالسعادة عند ابن قيّم الجوزية

فالسعادة بيد الله ولا ينالها العبد إلا بطاعته تبارك وتعالى، ومهما يسعى الإنسان للحصول على سعادة نفسه في غير هذا السبيل فلن يحصل إلا الشّقاء

له، وأما الثاني أن يكون صفة كمال في نفسه. فإذا لم يكن كذلك لم يكن كمالا, فلا يليق بمن يسعى في كمال نفسه المنافسة عليه, ولا الأسف على فوته, وذلك ليس إلا معرفة بارئها وفاطرها ومعبودها وإلهها الحق الذي لا صلاح لها ولا نعيم ولا لذة إلا بمعرفته..... فلذتها بحسب ما حصل لها من تلك المعرفة والمحبة والسلوك». انظر: ابن قيم الجوزية, **الفوائد**, (بيروت: دار الكتب العلمية, ٣٧٩١م)، ٣٨

[٤٣]ابن قيم الجوزية, **الروح**...، ٢٢٣

[٤٤]أحمد بن مسكويه، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، تحقيق ابن الخطيب، (مكتبة الثقافة الدينية، دون سنة)، ١٠٥

[٤٥]أبو حامد الغزالي, **ميزان العمل**.., ٣٠٤

والنّكد والنّصب والتعب وسوء الحال وضياع الأوقات في غير طائل. ولهذا، فطلب السعادة ليس من خارج أنفسنا, بل من داخلها.[٤٦] لأن السعادة تأتي من خارج الذات قد تكون خادعة ووهمية.

وبالعكس، قد بيّن الباحث فيما سبق بأن الإمام ابن القيم يرى أن النَّفس هو الرّوح[٤٧]، والرّوح هو جزء لا يتجزّأ من القلب.[٤٨] أما الفرق بينهما عند رحمه الله فرق بالصفات لا فرق بالذات.[٤٩] فإذا اعتبرت بنفسها فهى واحدة، وإن اعتبرت مع كل صفة دون الأخرى فهى متعددة. [٥٠] ولهذا، فالمقصود بالنفس عند الإمام ابن القيم هو (القلب, والروح, والنفس). و ذلك بمعنى أن المقصود بتزكية النفس هي تزكية القلب. ولذلك، استعمل الإمام ابن قيم المصطلح "(زكاة القلب)" الذي خصص الباب الثامن من كتابه "إغاثة اللهفان" للكلام فيه."[٥١] وأيضا يكون المراد بالسعادة النفسية عنده تتعلق بسعادة القلب, والروح, والنفس. ولذلك، استعمل الإمام ابن القيم المصطلح "(سعادة نفسانية روحية قلبية)" التي تتكون من: "سعادة العلم النافع ثمرته التي أعلاها هي معرفة الله» الذي خصص في كتابه "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة."[٥٢]

ولهذا، والمراد بالسعادة في هذا البحث هي السعادة النفسية التي تتعلق "بسعادة القلب من معرفة الله كعين السعادة النفسية." فمن هنا أراد الباحث أن يكشف آراء الإمام ابن القيم في "علاقة معرفة الله بتزكية القلب." لأن معرفة الله عنده تكمل القلب وتحقق الطمأنينة في القلب، بل إن عدم القلب ذلك الكمال (معرفة الله)، كان أشد عذابا واضطرابا وقلقا من العين الّتي فقدت النّور والبصر من اللّسان الّذي فقد قوة الكلام والذوق، لأن كمال القلب خاصة لمعرفة الله.[٥٣]

---

[46]Prof. Dr. Hamka. *Tasawuf Modern*, (Jakarta: Republika, 2015), 136.

[٤٧]ابن قيم الجوزية, **الروح**...، ٢١٧

[٤٨]**نفس المرجع**، ٢١٩

[٤٩]**نفس المرجع**،٢١٩

[٥٠]ابن قيم الجوزية, **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**...، ٧٦

[٥١]**نفس المرجع**،٤٦

[٥٢]ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**...، ١٢٠-١٠٨

[٥٣]ابن قيم الجوزية, **الروح**,...، ٢٢٣

وأما علاقة معرفة الله كعين السعادة النفسية بتزكية القلب، فالإمام ابن القيم يرى بأن تزكية القلب لها علاقة قوية بمعرفة الله، لأن هناك العلاقة بينهما والسبب ومسببه كما يلي:

١. العلاقة بينهما

رأى الإمام ابن القيم بأن تزكية النفس لها علاقة بمعرفة الله، وأن معرفة حقائق المعلومات لا يمكن قبولها على النفس القذرة والمذمومة كمحلّ النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والإنابة إليه والإنس به والسرور بقربه فيه، وإنّما يسكن فيه أضداد ذلك.[٥٤] من هنا نعلم أن الله تعالى طيّب لا يحِبّ إلا الطيّب, ولا يقبل مِنَ العملِ والكلامِ والصّدقةِ إلّا الطيّب وكذلك لايقبل النفس إلا طيّب وزكيّ.[٥٥] ولهذا، يقول الإمام ابن القيم: "فكيف تلج معرفة اللّه عزّ وجلّ، ومحبّته وحلاوة ذكرِه، والأنس بِقربِهِ، فِي قلبٍ ممتلِئٍ بِكِلابِ الشّهواتِ وصورِها؟."[٥٦] ولذلك، ينبغي تزكيته من نجاسة الذنوب والمعاصي للوصول إلى معرفة الله. ومن هذا البيان تظهر العلاقة قوية بينهما.

٢. السبب ومسببه

وفي هذا الجانب فالإمام ابن القيم يرى بأن هناك السبب ومسببه بين تزكية القلب ومعرفة الله. وهذا السبب ومسببه بسبب خلق الله القلوب خاصة لمعرفته وجعلها محلا لمعرفته ومحبّته فهي عرش المثل الأعلى الذي هو معرفته ومحبّته.[٥٧] ولذلك، فسعادته خاصة لمعرفة الله وجعل نعيمه وسعادته وابتهاجه ولذته في الوصول إليه، فإنّه لا نعيم له ولا لذّة، ولا ابتهاج ولا كمال، إلا بمعرفة الله ومحبّته.[٥٨] ولكن

---

[٥٤] ابن قيم الجوزية, **الداء والدواء**, ج.١، تحقيق مُحَمَّد أجمل الإصْلَاحي، (جدة: مجمع الفقه الإسلامي, هـ١٤٢٩)، ٤٢٢

[٥٥] ابن قيم الجوزية, **زاد المعاد في هدي خير العباد**...، ٦٦

[٥٦] ابن قيم الجوزية, **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**...، ٣٩١

[٥٧] ابن قيم الجوزية, **الفوائد**...، ٢٧

[٥٨] ابن قيم الجوزية, **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**...، ٢٥٤

رأى الإمام ابن القيم بأن القلوب إن لم يكن أطهر الأشياء وأنزهها وأطيبها وأبعدها من كل دنس وخبث لم يصلح لاستواء المثل الأعلى عليه معرفة ومحبة.[٥٩] وأما دنس وخبث في القلوب بسبب كدورة ظلم المعاصي والهوى، لأنها تخبث وتضعف القلب[٦٠]، وتظلم وتحجب وتسود القلب وتطفئ نوره.[٦١] فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه كالشمس التي ينكشف بعضها أو كلها فيذهب نورها وبهاؤها بقدر ظلمتها.[٦٢] ولهذا يقول الإمام ابن القيم:

"أَنَّ الْقَلْبَ يَصْدَأُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، فَإِذَا زَادَتْ غَلَبَ الصَّدَأُ حَتَّى يَصِيرَ رَانًا[٦٣]، ثُمَّ يَغْلِبُ حَتَّى يَصِيرَ طَبْعًا وَقُفْلًا وَخَتْمًا، فَيَصِيرُ الْقَلْبُ فِي غِشَاوَةٍ وَغِلَافٍ."[٦٤]

وبالتفصيل في هذا البيان علينا أن نرى خريطة المفاهيم التالية:

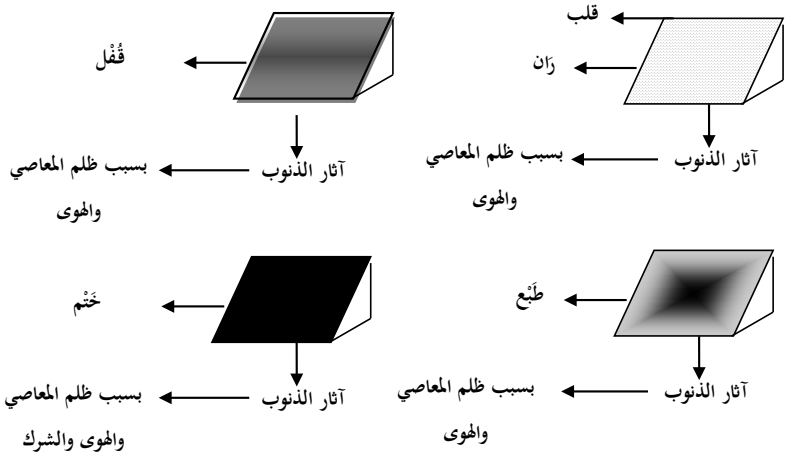

---

[٥٩]ابن قيم الجوزية, **الفوائد**...، ٧٢

[٦٠]ابن قيم الجوزية, **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**, (المغرب: دار المعرفة, هـ١٤١٨ - م١٩٩٧)، ٩٠

[٦١]**نفس المرجع**، ٥٢

[٦٢]أبو حامد الغزالي, **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**, (بيروت: دار الآفاق الجديدة, م١٩٢٧)، ٩٥-٩٤

[٦٣]وأما الرين والران فهو من أغلظ الحجب على القلب وأكثفها وقال مجاهد: "هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه فيموت القلب" انظر: ابن قيم الجوزية, **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**, (بيروت: دار المعرفة, هـ١٣٩٨)، ٩٤

[٦٤]ابن قيم الجوزية, **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**...، ٦٠

ولهذا، رأى الإمام ابن القيّم بأن القلب كالمرآة، والهوى كالصدأ فيها. فإذا خلصت المرآة من الصدأ انطبعت فيها صورة الحقائق كما هي عليه. وإذا صدأت لم ينطبع فيها صورة المعلومات.[٦٥] ولذلك، ينبعي تزكيته من ظلم المعاصي و الهوى.

ولهذا، يقول الإمام:

"فالطاهرة من كدر الدنيا والاشتغال بها، وعلائقها هي الّتي تعوق الأرواح عن ديار الأفراح. فإنّ هذه أكدار، وتنفّسات في وجه مرآة القلب والروح. فلا تنجلي فيها صور الحقائق كما ينبغي. والنّفس تنفّس فيها دائما بالرغبة في الدّنيا والرهبة من فوتها. فإذا جليت المرآة بذهاب هذه الأكدار صفت. وظهرت فيها الحقائق والمعارف. كما قال بعض السّلف: إذا عقدت القلوب على ترك المعاصي: جالت في الملكوت. ثمّ رجعت إلَى أصحابها بأنواع التّحف والفوائد."[٦٦]

ولذلك، ينبعي تزكيته بطاعة الله[٦٧]، وإزالة الذنوب في القلب بسب ظلم المعاصي والهوى. لأن الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه.[٦٨] وهو الذي يجلو مرآة القلب ويصفيه.[٦٩] و ذلك لأن الطاعة نور، والمعصية ظلمة، كلّما قويت الظلمة ازدادت حيرته، حتّى يقع في البدع والضَلالات والأمور المهلكة.[٧٠] وكلّما قويت النور ازدادت جلاء مرآة القلب حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه

---

[٦٥]ابن قيم الجوزية. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان...**، ٤٨

[٦٦]ابن قيم الجوزية, **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين...**، ٤٤٤

[٦٧]كتفسير الإمام ابن قيم عن سورة الشمس: الآيات ٩ إلى ١٠, "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها (٩) وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها (١٠). "والمعنى عنده: "قد أفلح من كبرها وأعلاها بطاعة الله، وأظهرها، وقد خاب وخسر من أخفاها، وحقرها وصغرها بمعصية الله."انظر: ابن قيم الجوزية, **تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)**, تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان، (بيروت: دار ومكتبة الهلال, هـ١٤١٠), ٥٧١. وأكد الإمام ابن قيم بقوله: "يريد أفلح من زكى نفسه أي نماها وأعلاها بالطاعة والبر والصدقة واصطناع المعروف وقد خاب من دساها أي نقصها وأخفاها بترك عمل البر وركوب المعاصي والفاجر أبداً خفي المكان زمن المروءة غامض الشخص ناكس الرأس."انظر: ابن قيم الجوزية, **التبيان في أيمان القرآن**, تحقيق عبد الله بن سالم البطاطيّ, (جدة: دار عالم الفوائد, دون سنة), ٢١

[٦٨]أبو حامد الغزالي, **إحياء علوم الدين**,...، ١٢

[٦٩]**نفس المرجع**، ١٣

[٧٠]ابن قيم الجوزية, **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء...**، ٥٤

الغطاء والحجاب. ولهذا، فيشعر العبد تمام شعور السعادة اذا انكشف له الغطاء.[٧١] فأرفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فإن السعادة تنال بها بل هي عين السعادة.[٧٢] لأن معرفة الله جلا نورها كل ظلمة، وكشف سرورها كل غمة فبذلك فليفرحوا.[٧٣] وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف."[٧٤]

وللبيان بالتفصيل علينا أن نرى خريطة المفاهيم كما يلي:

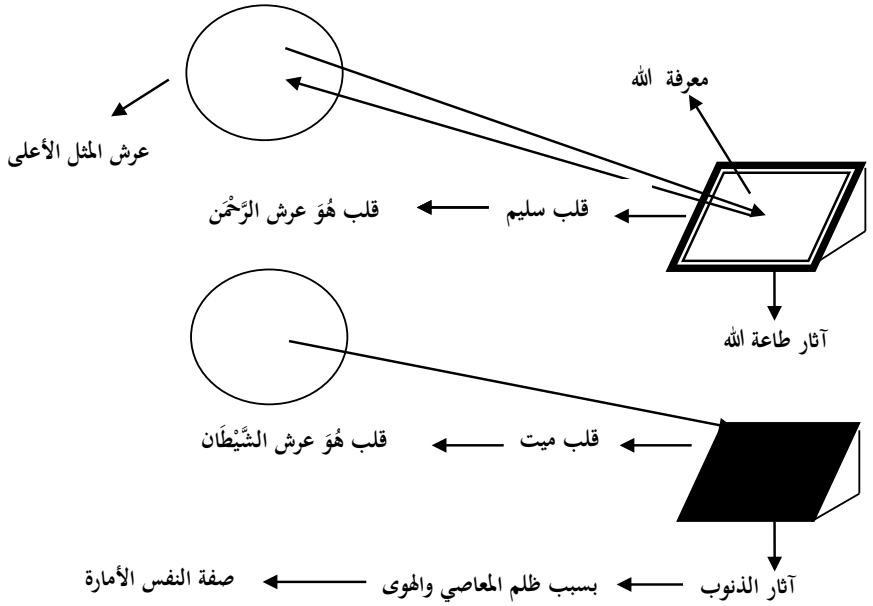

فالمرآة الأولى، تصوّر عن قلب سليم[٧٥] وهو قلب هُوَ عرش الرَّحْمَن[٧٦] وهو

---

[٧١]ابن قيم الجوزية, **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**, تحقيق إسماعيل بن غازي مرحبا، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد, دون سنة)، ١١٤

[٧٢]أبو حامد الغزالي, **إحياء علوم الدين**...، ٣٦٢

[٧٣]ابن قيم الجوزية, **طريق الهجرتين وباب السعادتين**, (القاهرة: دار السلفية, هـ١٣٩٤)، ٢٧٨

[٧٤]أبو حامد الغزالي, **المنقذ من الضلال**...، ١١٥

[٧٥]"وهو قلب الذي خلص وسلم من الهوى و من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره وهو الذي سلم من كل آفة تبعده عن الله وهو قلب المؤمن». انظر: ابن قيم الجوزية, **إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان**..., ٧

[٧٦]"قلب هُوَ عرش الرَّحْمَن فَفِيهِ النُّور والحياة والفرح وَالسُّرُور والبهجة وذخائر الْخَيْر... إِنَّمَا هُوَ آثَار

محل لمعرفته ومحبّته فهي عرش المثل الأعلى الذي هو معرفته ومحبّته، وهو أطهر الأشياء وأنزهها وأطيبها وأبعدها من كل دنس وهو أقرب من الله ويطيع أمره.[٧٧] ولهذا، أنزه الموجودات وأظهرها وأنورها وَأَشْرَفهَا وأعلاها ذاتا وَقدرا وأوسعها عرش الرَّحْمَن جلّ جَلَاله وَلذَلِك صلح لاستوائه عَلَيْهِ وكل مَا كَانَ أقرب إِلَى الْعَرْش كَانَ أنور وأنزه وأشرف مِمَّا بعد عَنهُ. وهذا لأن هَذِه السعادة عند الإمام نشأت لَهُ بسبب قربه من الله (طاعة الله)، فَإِن الْقلب إِذا قرب من الله انْقَطَعت عَنهُ معارضات السوء الْمَانِعَة من معرفَة الْحق وإدراكه وَكَانَ تلقيه من مشكاة قريبَة من الله بِحَسب قربه مِنْهُ وأضاء لَهُ النُّور بِقدر قربه فرَأى فِي ذَلِك النُّور مَا لم يره الْبعيد والمحجوب، فَصَارَ قلبه كالمرآة الصافية تبدو فِيهَا صور الْحَقَائِق على مَا هِيَ عَلَيْهِ.[٧٨]

وأما المرآة الثانية، تصوّر عن قلب ميت،[٧٩] وهو قلب خال من الإيمان وجميع الخير, فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوسواس إليه لأنه قد اتخذه بيتا ووطنا.[٨٠] ولذلك، سمي الإمام ابن القيم بقلب هُوَ عرش الشَّيْطَان، لأن الهوى إمامه .[٨١] والهوى كالصدأ فيها، فإذا صدأت المرآة لم ينطبع فيها صورة الحقائق والمعلومات كما هى عليه.[٨٢] ولذلك، فالهوى هو حجاب القلب عن معرفة الله.

ومن البيان كلها، رأى الباحث بأن مفهوم تزكية القلب عند الإمام ابن

الْمثل الْأَعْلَى فَلذَلِك يَنْقَسِخ وينشرح وَإِذا لم يكن فِيهِ معرفَة الله ومحبّته فحظّه الظلمَة والضيق." انظر: ابن قيم الجوزية, **الفوائد**...، ٢٧

[٧٧]**نفس المرجع**، ٢٧

[٧٨]ابن قيم الجوزية, **الروح**...، ٢٣٨

[٧٩]"وهو قلب الذى لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، فهو متعبد لغير الله... فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه. فهو بالفكر فى تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور". انظر: ابن قيم الجوزية, **إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان**، ٩

[٨٠]منصور بن محمد المقرون, **المجموع القيم من كلام ابن القيم في الدعوة والتربية وأعمال القلوب**, (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع, هـ١٤٢٦), ١٢٨

[٨١]"فهناك الضّيق والظلمة وَالْمَوْت والحزن وَالْغَم والهم فَهُوَ حَزِين على مَا مضى مهموم بِمَا يسْتَقْبل مغموم فِي الْحَال." انظر: ابن قيم الجوزية, **الفوائد**...، ٢٧

[٨٢]ابن قيم الجوزية. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**...، ٤٨

القيم يتبع مفهوم تزكية القلب عند الإمام الغزالي الذي يرى بأن القلب مثل المرآة، والأخلاق المذمومة مثل الدخان المظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوباً عن معرفة الله تعالى.[٨٣] وأما الأخلاق المحمودة عنده كالنور والضوء، وهو الذي يجلو القلب ويصفيه. فإذا وصل إلى القلب طهره من ظلم المعاصي، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وأتبع السيئة الحسنة تمحها).[٨٤] وهي التي تزيد مرآة القلب جلاء وإشراقاً ونوراً وضياءً حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين.[٨٥] فأرفع علوم المكاشفة معرفة الله كعين السعادة.[٨٦]

فالقلب عند الإمام الغزالي محل العلم ومحل المعرفة وهو مثل المرآة التي تقبل رسوم العلم. واللوح مرآة رسوم العلم كلها موجودة فيها، وإن كان القلب يشتغل بشهواته ومقتضى حواسه فحجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت.[٨٧] و ذلك لأن تجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب عند الإمام الغزالي يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها.[٨٨] ولهذا، فإن قابلت المرآة بمرآة أخرى حلت صور ما في إحداهما في الأخرى، وكذلك تظهر صور ما في اللوح المحفوظ إلى القلب إذا كان فارغا من كدورة شهوات الدنيا وسوء الخلق. فإن كان مشغولا بها كان عالم الملكوت محجوبا عنه. ولذلك، ينبعي تزكيته بالأخلاق الحسنة لتزيد مرآة القلب جلاء وإشراقاً ونوراً وضياءً حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين.[٨٩] فأرفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فإن السعادة تنال بها بل هي عين السعادة.[٩٠]

ولكن الفرق بينهما، أكثره فرق في المصطلح وكذلك فرق في الوسيلة. أما

---

[٨٣]أبو حامد الغزالي, **إحياء علوم الدين**...، ١٢

[٨٤]أبو حامد محمد بن محمد الغزالي, **كيمياء السعادة**...، ١٣٣

[٨٥]أبو حامد الغزالي, **إحياء علوم الدين**...، ١٢

[٨٦]**نفس المرجع**، ٣٦٢

[٨٧]**نفس المرجع**، ٥٠٥

[٨٨]**نفس المرجع**، ١٩

[٨٩]أبو حامد الغزالي, **إحياء علوم الدين**...، ١٢

[٩٠]**نفس المرجع**، ٣٦٢

الإمام ابن القيم فيرى بأن طاعة الله هي الوسيلة لتزكية القلب، وأما الإمام الغزالي يرى بأن الأخلاق المحمودة هي الوسيلة لتزكية القلب. ولهذا، فمفهوم تزكية القلب عند الإمام الغزالي ينبني على تحويل الأخلاق من المذمومة إلى المحمودة.[٩١]

وفي نهاية المطاف، استنبط الباحث بأن هناك تظهر العلاقة قوية بين تزكية القلب ومعرفة الله كعين السعادة النفسية عند الإمام ابن القيم. لأن هناك السبب ومسببه، كلما كان القلب أكثر زكاة بطاعة الله فيكون معرفة الله أكثر، وهو كالمرآة كلما كانت المرآة أكثر زكاة من الصدأ فيكون صورته في عرش المثل الأعلى الذي هو معرفته واضحة. لأن بصفاء القلب ظهرت فيها الحقائق والمعارف. ولهذا، خلق الله القلوب خاصة لمعرفته وجعلها محلا لمعرفته، ولكن إن لم يكن أطهر الأشياء وأنزهها وأطيبها وأبعدها من كل دنس وخبث لم يصلح لاستواء المثل الأعلى عليه معرفة.

خاتمة

وبعد البحث والتحليل للقضايا المذكورة استنبط الباحث عدة النتائج التالية. كانت التزكية عند الإمام ابن القيم ليس فقط للنفس و إنما كذلك للاعتقاد. وكان رأيه هذا يتماشى مع آراء شيخه الإمام ابن تيمية. فالتزكية في منهج الإمام ابن القيّم ينبني على العمل الإنساني والسعي الكسبي للترقي بالنفس والوصول بها إلى فعل الطاعة واجتناب المعصية وهو التخلّي عن الذنوب والمعاصي في القلب، ثمّ التحلّي بطاعة الله لتصبح النفس طاهرة نقية.

أما حقيقة السعادة عنده هي أنها سعادة نفسية (روحية) قلبية حيث أعلاها وأعظمها هي سعادة القلب في معرفة الله. وذلك لأن سعادة القلب خاصة بمعرفة الله لأنه مخلوق لها. فآراء الإمام بهذا الجانب يشبه آراء الإمام الغزالي الذي يرى بأن السعادة نفسانية فسعادتها في العلم التي أعلاها وأعظمها هي لذّة القلب في معرفة الله. وهذه السعادة عند الإمام ابن القيم أشرف وأعلى المراتب في السعادات وهي حقيقية وأنها أيضا أشرف من السعادة البدنية والخارجية.

[91]Asrifin An-Nakhrawie, *Ajaran-Ajaran Sufi Imam Al-Ghazali*, (Surabaya: Delta Prima Press,201), 62

وأن الرابطة بين تزكية النفس و السعادة النفسية التي أعلاها وأعظمها هي لذّة القلب في معرفة الله عند الإمام ابن قيم الجوزية بينهما علاقة وثيقة، لأن القلب عنده بحكم المرآة هناك السبب ومسببه، كلما كان القلب أكثر زكاة بطاعة الله فيكون معرفة الله أكثر، وهو كالمرآة كلما كانت المرآة أكثر زكاة من الصدأ فتكون صورته في عرش المثل الأعلى الذي هو معرفته واضحة. لأن بصفاء القلب ظهرت فيها الحقائق والمعارف. ولهذا، خلق الله القلوب خاصة لمعرفته وجعلها محلا لمعرفته، ولكن إن لم يكن أطهر الأشياء وأنزهها وأطيبها وأبعدها من كل دنس وخبث لم يصلح لاستواء المثل الأعلى عليه معرفته. لأن الذنوب بسبب اتباع الشهوات والمعاصي هي الغطاء والحجاب عن معرفة الله. ولذلك، كان بذل الجهود في تزكية النفس من كل من يريد معرفة الله ككمال القلب ذو أهمية خاصة.

مصادر البحث

اللغة العربية

أبو كرم، كرم أمين. ١٤١٧ هـ. **حقيقة العبادة عند محي الدين ابن عربي**، القاهرة: مطابع سجل العربي.

تيمية, ابن. هـ١٤٠٣. **الاستقامة**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (المدينة المنورة: حقوق الطبع محفوظة

_____. **مجموع الفتاوى**, المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, هـ١٤١٦.

_____. دون سنة، **الرد على المنطقيين**، بيروت: دار المعرفة.

الجوزية, ابن قيم. هـ١٣٩١/م١٩٧١. **تحفة المودود بأحكام المولود**, تحقيق: **عبد القادر الأرناؤوط**, دمشق: مكتبة دار البيان.

_____. هـ١٣٩٤. **طريق الهجرتين وباب السعادتين**, القاهرة: دار السلفية.

_____.هـ١٣٩٨. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**,

بيروت: دار المعرفة.

_____.هـ١٤٠٨. **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**, الرياض: دار العاصمة.

_____.هـ١٤٠٨-/م١٩٨٨. **إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان**, تحقيق: محمد عفيفي. بيروت: المكتب الإسلامي.

_____. هـ١٤٠٨/م١٩٨٨. **إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان**, تحقيق: محمد عفيفي. بيروت: المكتب الإسلامي.

_____. هـ١٤١٠. **تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)**, تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان بيروت: دار ومكتبة الهلال.

_____. هـ١٤١٥. /م١٩٩٤. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرناؤوط, (بيروت: مؤسسة الرسالة.

_____.هـ١٤١٨ - ١٩٩٧م. **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**, المغرب: دار المعرفة.

_____. ١٤٢٩هـ. **الداء والدواء**, تحقيق: مُحَمَّد أجمل الإصْلاَحي. جدة: مجمع الفقه الإسلامي.ض

_____. ١٩٧٣م. **الفوائد**, بيروت: دار الكتب العلمية.

_____. ٣١٩٧٣م. **مدارج السالكين**. تحقيق: محمد الفقي, بيروت: دار الكتاب العربي.

_____. دون سنة. **التبيان في أيمان القرآن**, تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطيّ, جدة: دار عالم الفوائد.

_____. دون سنة. **الروح**, بيروت: دار الكتب العلمية.

_____. دون سنة. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**, دار الكتب العلمية: بيروت.

_____. دون سنة. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين,** تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد.

_____. دون سنة. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،** بيروت: دار الكتب العلمية.

زيدان، يوسف محمد طه. ١١٤١هـ. **الطريق الصوفي،** بيروت: دار الجيل.

الطوسي، أبي نصر السراج. ١٣٨٠هـ. **اللمع،** تحقيق: دكتور عبد الحليم محمود، مصر: دار الكتب الحديث.

عربي، ابن. ١٣٣٦هـ. **التدبيرات الإلهية،** ليدن، حقوق الطبع محفوظة.القشيري، ١٤٠٩هـ. **الرسالة القشيرية،** القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب.

_____. ٢٠٠٦م. **الفتوحات المكية،** القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب

_____. دون سنة. **نقش الفصوص،** حقوق الطبع محفوظة.

العلواني, رقية طه جابر. دون سنة. **منهج ابن قيم الجوزية في تزكية النفس,** حقوق الطبع محفوظة.

الغزالي، أبو حامد. ١٩٢٧م. **معارج القدس في مدارج معرفة النفس,** بيروت: دار الآفاق الجديدة.

_____. ١٩٦٤ م. **ميزان العمل,** تحقيق: الدكتور سليمان دنيا, مصر : دار المعارف.

_____. ١٩٨٠. **إحياء علوم الدين,** بيروت: دار المعرفة.

_____. دون سنة. **المنقذ من الضلال,** تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود. مصر : دار الكتب الحديثة.

_____. دون سنة. **كيمياء السعادة،** حقوق الطبع محفوظة,.

القشيري، الإمام، ١٤٠٩هـ. **الرسالة القشيرية،** القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب.

كرزون, أنس أحمد. ١٤١٥هـ — ١٩٩٥ م. **منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله**, المكة، المملكة العربية السعودية.

مسكويه، أحمد بن، دون سنة. **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية.

المقرون، منصور بن محمد. ١٤٢٦هـ. **المجموع القيم من كلام ابن القيم في الدعوة والتربية وأعمال القلوب**, الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

اللغة الإندونيسيا

An-Nakhrawie, Asrifin. 2001. *Ajaran-Ajaran Sufi Imam Al-Ghazali*, Surabaya: Delta Prima Press.

Hamka. 2016. *Pandangan Hidup Muslim*, Jakarta: Gema Insani.

_____. 2016. *Tasawuf; Perkembangan dan Pemurnian*, Jakarta: Republika.

_____. 2015. *Tasawuf Modern*, Jakarta: Republika.

Quasem, M. Abul.1988. *Etika Al-Ghazali*, terj. J. Mahyudin, Bandung: Pustaka.